الشؤون العائلية عند الشيخ الطاهر بن عاشور فی تفسيره" التحرير والتنوير" وأثرها على المجتمع

Family affairs of Sheikh Tahir bin Ashour in his interpretation of "liberation and enlightenment" and its impact on society

عبدالواحد* د. سميع الله** د. شفيقه بشرى***

ISSN (P) 2664-0031 (E) 2664-0023

DOI: https://doi.org/10.37605/fahmiislam.v5i1.333

Received: February 27 ,2022
Accepted: June 15, 2022
Published: June 30,2022

Abstract

Islamic law is a comprehensive system for all matters of life and human behavior, and its rulings are valid for "all of humanity at every time and place", "and since the family and the family are the first building block of society", "and it is one of the families", i.e.: strength,"with the strength of the family and its reform", the society is strengthened and reformed, and the weakness and corruption of the family weakens Society and corrupts, and God Almighty has set a platform for the family to organize it, and since the "Pakistani family law is based on the Qur'an and Sunnah" according to the national constitution, so we Pakistanis are in dire need of studying a topic like this "in the light of Islamic law", The researcher focuses on the statement of Sheikh Al-Taher bin Ashour's opinion of the affairs of family rulings through his interpretation of "liberation and enlightenment." Sheikh Ibn Ashour is "one of the most prominent scholars of the modern era" who served the purposes of Sharia, and cared about its secrets and rulings, and this phenomenon of legal purposes prevailed in all his works and writings, especially in His interpretation of "Liberation and Enlightenment," which is considered a scientific encyclopedia, and the Sheikh combined authenticity and modernity together, and as the researcher mentions the impact of this study on Pakistani society, and the research will be in the form of two topics, demands and a conclusion, In sha Allah.

Keyword: Islamic literature. Allama Muhammad Iqbal, Theory The family system & its provisions,The way Al-Sheikh Ibn Ashour took it in his interpretation, Its impact on Pakistani society.

* محاضر، قسم العلوم الاجتماعية ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، راوالبندى –باكستان

** الاستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علامة اقبال المفتوحة اسلام آباد–باكستان

*** استاذه المساعدة بجامعة سوات

الحمد لله الّذى نصب للحق دليلاً، والصّلاة والسّلام على النّبى الأمين، أعلم النّاس بمراد الله تعالى ، وعلىٰ صحابته الكرام رضوان الله عليهم وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فالشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان ، وأحكامها صالحة للبشرية كلها فى كل زمان ومكان ، وبما أن العائلة والأسرة هي اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ،وهي من الأسر، أي : القوة ([1]) ، فبقوة الأسرة وإصلاحها يقوى المجتمع ويصلح وبضعف الأسرة وفسادها يضعف المجتمع ويفسد ، ووضع الله جلّ وعلا للأسرة منهاجا ينظمها، وبما أن قانون الأسرة الباكستاني تابع للقرآن والسنة وفق الدستور الوطني، لذلك نحن الباكستانييون فى أمس الحاجة إلى دراسة موضوع كهذا فى ضوء الشريعة الإسلامية ، ويركز الباحث على بيان رأي الشيخ الطاهر بن عاشور من شؤون أحكام العائلة من خلال تفسيره " التحرير والتنوير " ، والشيخ ابن عاشور من أبرز علماء عصر الحديث الذين خدموا مقاصد الشريعة ،واهتموا بأسرارها وحكمها ، وهذه الظاهرة المقاصدية الشرعية غلبت فى جميع مصنّفاته ومؤلفاته ، خاصة فى تفسيره " التحرير والتنوير " الذي يعتبر موسوعة علميّة ، والشيخ جمع فيه بين الأصالة والمعاصرة معا ، وكما يذكر الباحث أثر هذه الدراسة على المجتمع الباكستاني ، وسيكون البحث فى صورة مبحثين ومطالب وخاتمة بمشيئة الله جلّ وعلا .

الكلمات المفتاحية : نظام العائلة وأحكامها – طريقة تناول الشيخ ابن عاشور منها فى تفسيره — أثرها على المجتمع الباكستاني.

خطة البحث :

يتضمن البحث تمهيدا وفيه ترجمة موجزة للإمام ابن عاشور ـــ رحمه الله ـــ والتعريف بتفسيره "التحرير والتنوير" ومبحثين ، البحث الأول يشتمل على بيان مفهوم شؤون ومفهوم الأحكام ومفهوم العائلة، والبحث الثاني يشتمل على النماذج التطبيقية من خلال تفسير "التحرير والتنوير"، وأثر هذه الشؤون العائلية على واقعنا الحالي فى المجتمع الباكستاني .

التمهيد: نبذة مختصرة عن العلامة الطاهر بن عاشور– رحمه الله – وتفسيره " التحرير والتنوير"

اسمه ونسبه ومولده :

قد قام الخلف عن السلف في حفظ تاريخهم بالترجمة لهم خدمة لتراثهم وإحياء لذكراهم وإن مثل الشيخ ابن عاشور رحمه الله لجدير بذكر ترجمته والاستفادة من منهج حياته في تعلمه وتعليمه. وإني لأستعين الله فيما أذكر:

اسمه "محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتّور، و أصل عائلته بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى سلا ببلاد المغرب، ثم انتقل إلى تونس، ولد الشيخ ابن عاشور بقصر جده لأمه بالمرسى" في جمادى الأول ١٢٩٦ ه= ١٨٧٩ م)، "وهو من عائلة عريقة في العلم"،"وطبقةاجتماعيةرفيعة"،"فجده لأبيه كان قاضي الحاضرة التونسية"،"وجده لأمه العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز" ([2]).

"وفاته" :

انتقل إلى رحمة الله وحسن جواره صاحب الفضيلة "مابين البحث والتدريس،والعلم والتأليف"، فتوفي-"رحمه الله"- "يوم الأحد ١٣ رجب سنة ١٣٩٣ه" - "١٩٧٣م" . ([3])

"منهج التفسير":

وقد أشار الشيخ إلى موضوعات "تفسيره ومنهجيته التي اعتمدها في تفسيره كل ما يتعلق بالآيات والسور"، "فقال" : "وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال" ، "واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو مترع جليل قد عني به فخرالدين الرازي" ، "وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظارالمتأملين لفصل القول تتطلع"... "واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق، مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير" ([4])، وقد أثنى تفسيره بأنه: "ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير" ([5])، "ففيه أحسن ما في التفاسير"، "وفيه أحسن مما في التفاسير" ([6])، وقد أشار في نهاية تمهيده إلى "اسم التفسير ومختصره"، فقال: "وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير" ([7]).

المبحث الأول : مفهوم الشؤون والأحكام والعائلة

وفيه أمور ، **الأمر الأول : مفهوم الشؤون**

في "لسان العرب" : شأن: الشأن: "الخطب والأمر والحال، وجمعه شؤون وشئان" ، .. "ويقال أقبل فلان وما يشأن شأن فلان شأنا إذا عمل فيما يحب أو فيما يكره" ([8])

وفی القاموس المحیط: "الشأن: الخطب، والأمر، ج: شؤون وشئین، ومجری الدمع إلی العین ، ج: أشؤن وشؤون، وعرق في الجبل ینبت فیه النبع، وموصل قبائل الرأس، وعرق من التراب في الجبل، ینبت فیه النخل "، ج: "شؤون ، وما شأن شأنه، کمنع: ما شعر به، أو لم یکترثله ، وشأن شأنه: قصد قصده، کاشتأنه، وعمل ما یحسنه ، ولأشأنن خبرهم: لأخبرنهم ، ولأشأنن شأنهم: لأفسدنهم ، وشأن بعدك: صار له شأن" ([9])

وفی "تاج العروس" : " الشأن: الخطب والأمر، والحال الذي یشین ویصلح. ولا یقال إلا فیما یعظم من الأحوال والأمور"، قاله "الراغب": (ج {شؤون} وشئین) ، "هکذا في النسخ، والصواب": {شئان،..الشأن: ("عرق في الجبل ینبت فیه النبع") ، جمعه {شؤون ... الشأن: ("موصل قبائل الرأس") إلی العین، والجمع {شؤون.، وقیل: الشؤون: "السلاسل التي تجمع بین القبائل " . ([10])، وفی معجم لغة الفقهاء : " الشأن: مص شأن، ج شؤون، الامر والحال" . ([11])

الأمر الثاني : مفهوم الأحکام ، فی کتاب العین : " نظم : النظم نظمك خرزا بعضه إلی بعض في نظام واحد، وهو في کل شيء حتی قیل: لیس لأمره نظام، أي لا تستقیم طریقته والنظام: کل خیط ینظم به لؤلؤ أو غیره فهو نظام، والجمیع نظم، وفعلك النظم والتنظیم.. والانتظام: الاتساق... والنظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، وسلکه خیطه. والنظام: الهدیة والسیرة ولیس لأمرهم نظام، أي لیس له هدي ولا متعلق یتعلق به. وتقول: في بطنها أناظیم، والنظام: بیض الضب کأنه منظوم في خیط، وفي بطنها نظامان، وکذلك نظاما السمکة، وقد نظمت السمکة فهي ناظم وذلك حین یمتلیء من أصل ذنبها إلی أذنبها بیضا. والنظم در ونحوه مما ینظم" .([12])

وفی تهذیب اللغة : "النظم، نظمك الخرز بعضه إلی بعض في نظام واحد، کذلك هو في کل شيء حتی یقال: لیس لأمر نظام، أي لا تستقیم طریقته ... وکل خیط ینظم فیه لؤلؤ أو غیره فهو نظام وجمعه نظم .. وفعلك النظم والتنظیم؛ والنظامان من الضب کشیتان من الجانبین منظومتان بیضا، من أصل الذنب إلی دبر الأذن، وکذلك الإنظامان". یقال: "في بطنها إنظامان من بیض، وکذلك إنظاما السمکة" ، وقد نظمت السمکة فهي منظم، ونظمت فهي ناظم ... ویقال: ما لهذا الأمر نظام أي استقامة " ([13])

الأمر الثالث : مفهوم العائلة ، فی معجم متن اللغة : " العائلة: العیلة. وشاع کثیرا إطلاقها علی من یعولهم الرجل ویقوم بأمرهم من أهله، وهي من عاله إذا کفاه معاشه "فاعل بمعنی مفعول". ثم

عمت أسرة الرجل "على طريقة المجاز من استعمال الخاص في العام".([14])، وفى معجم الوسيط : "(العائلة) من يضمهم بَيت وَاحِد من الْآبَاء وَالْأَبْنَاء والأقارب" ([15]) .

المبحث الثاني : النماذج من تفسير "التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور" فيما يتعلق بشأن النظام العائلي

من المعلوم أن الإسلام قد اهتم ببناء الأسرة – وما يتعلق بها ،"كالخطبة والزواج والعلاقات الأسرية وبيان حقوق الأبناء، وحقوق كل من الزوج والزوجة"، "و مواجهة المشاكل والخلافات العائلية إن وجدت"، وطريقةإنهاءالعلاقة الزوجيةإن استحالت الحياة الأسريةالمتكاملة، وبيان طرق توزيع الميراث"...- "وذلك لأن الأسرة الصحية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية،وهي أساس المجتمع المتكامل، ولا يخفى أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأسر المتفاعلة فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ،وهذا هو ما دعا المصلحين إلى التركيز على ضرورة الحرص على بناء الأسرة على قوائم قوية، وتتضح هذه القوائم بشكل واضح ومعجز في التنظيم الإسلامي للأسرة".

والطريق الأول "لتكوين الأسرة هو نظام الزواج" ، وكلما"كان الإنسان مطبوعاً على حب البقاء، وإذا كان لا سبيل إلى بقائه بذاته"- لأن الكل يموت لامحالة- "والسبيل للبقاء هو النسل المعروف ، يراه امتداداً في بقائه واستمراراً لذكراه وخلوداً لحياته". "والطريق إلى ذلك هو نظام الزواج"، يقول الله جل وعلا :

"والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون"([16])

قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمة : "عطف على التي قبلها، وهو استدلال ببديع الصنع في خلق النسل إذ جعل مقارنا للتأنس بين الزوجين، إذ جعل النسل منهما و لم يجعله مفارقا لأحد الأبوين أو كليهما ، وجعل النسل معروفا متصلا بأصوله بما ألهمه الإنسان من داعية حفظ النسب، فهي من الآيات على انفراده تعالى بالوحدانية" كما "قال تعالى" : "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" ([17]). "فجعلها آية تنطوي على آيات، ويتضمن ذلك الصنع نعما كثيرة، كما أشار إليه قوله تعالى": "وبنعمت الله هم يكفرون"، "وهذه نعمة إذ جعل قرين الإنسان متكونا من نوعه، ولو لم يجعل له ذلك لاضطر الإنسان إلى طلب التأنس بنوع آخر فلم يحصل التأنس بذلك للزوجين، وهذه الحالة وإن كانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان فهي نعمة يدركها الإنسان ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهية النعمة أن ينفرد بها المنعم عليه" .([18])

الحاصل من كلام الشيخ ابن عاشور"أن الحاجة تمس إلى الأزواج وثمرة الأزواج وتنظيم الزواج ليست أقلّ من حاجتنا إلى حفظ حياتنا والتمتع بلذائذ الحياة وطيبات الرزق التي تحفظ كياننا وتقينا التعرض للضعف والانحلال"، والزواج "هو السبيل لتكوين الأسرة التي تحقق للإنسان إشباع فطرته وإشباع حاجاته النفسية حيث يجد كل من الزوجين الشريك الذي يحقق له السكن والرحمة والمودة والراحة" ، "هذه الإشباعات المتعددة التي يحققها الزواج المشروع حب البقاء والمودة والسكن والرحمة، هو ما يَطلق عليها القرآن الكريم قرة العين التي أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم إياه بها"، وبهذا يتحقق الأمن فى المجتمع الباكستاني والإبعاد عن العدوان العنيف على الأولاد .

المثال الثاني ، قال الله جل وعلا : "وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا"([19])

قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمة : "..والإفضاء الوصول، مشتق من الفضاء، لأن في الوصول قطع الفضاء بين المتواصلين والميثاق الغليظ عقدة النكاح على نية إخلاص النية ودوام الألفة، والمعنى أنكم كنتم على حال مودة وموالاة، فهي في المعنى كالميثاق على حسن المعاملة ، والغليظ صفة مشبهة من غلظ- بضم اللام- إذا صلب، والغلظة في الحقيقة صلابة الذوات،" ([20])

الحاصل من كلام الشيخ ابن عاشور أن هذه الآيات الكريمة تدل على "عمق علاقة الزوجية، بحيث تتخطى كل العلاقات الأخرى في أهميتها ، واعتدت علاقة الزوجية فى الآية الكريمة بميثاق غليظ وقوي من منطوق الآية الكريمة".

المثال الثالث ، "قال الله جل وعلا" : "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ([21])

قد استنبط الشيخ ابن عاشور من هذه الآية الكريمة أنّ الشريعة الإسلامية قد اعتنت بحقوق النساء على الرجال وفيها إعلان بحقوق النساء حيث قال : "وفي الآية احتباك، فالتقدير" : "ولهن على الرجال مثل الذي للرجال عليهن، فحذف من الأول لدلالة الآخر، وبالعكس، وكان الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال، وتشبيهه بما للرجال على النساء لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة، مسلمة من أقدم عصور البشر، فأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية ، وتقديم الظرف للاهتمام بالخبر لأنه من الأخبار

التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما لو أخر فقيل: ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف، وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداع بها وإشادة بذكرها، ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام، ذلك أن حال المرأة إزاء الرجل في الجاهلية، كانت زوجة أم غيرها، هي حالة كانت مختلطة بين مظهر كرامة وتنافس عند الرغبة، ومظهر استخفاف وقلة إنصاف، عند الغضب، فأما الأول فناشئ عما جبل عليه العربي من الميل إلى المرأة وصدق المحبة، فكانت المرأة مطمح نظر الرجل، ومحل تنافسه،رغبة في الحصول عليها بوجه من وجوه المعاشرة المعروفة عندهم، وكانت الزوجة مرموقة من الزوج بعين الاعتبار والكرامة"، .. "وكانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها إذا حلت له، وإن شاءوا، زوجوها بمن شاؤا وإن شاءوا لم يزوجوها فبقيت بينهم، فهم أحق بذلك فنزلت آية: يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها" ([22]).."وقد ظهر هنا أنه لا يستقيم معنى المماثلة في سائر الأحوال والحقوق، أجناسا أو أنواعا أو أشخاصا لأن مقتضى الخلقة، ومقتضى المقصد من المرأة والرجل، ومقتضى الشريعة، التخالف بين كثير من أحوال الرجال والنساء في نظام العمران والمعاشرة، فلا جرم يعلم كل السامعين أن ليست المماثلة في كل الأحوال، وتعين صرفها إلى معنى المماثلة في أنواع الحقوق على إجمال تبينه تفاصيل الشريعة، فلا يتوهم أنه إذا وجب على المرأة أن تقم بيت زوجها، وأن تجهز طعامه، أنه يجب عليه مثل ذلك ، فعلى المرأة أن تحسن معاشرة زوجها، بدليل ما رتب على حكم النشوز"، قال تعالى: "واللاتي تخافون نشوزهن" ([23]) ، "وعلى الرجل مثل ذلك" قال تعالى: "وعاشروهن بالمعروف" ([24]) "وعليها حفظ نفسها عن غيره ممن ليس بزوج، وعليه مثل ذلك عمن ليست بزوجة" ([25])، ثم قال: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن" ([26]) الآية، "والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم" ([27])، "إلا إذا كانت له زوجة أخرى فلذلك حكم آخر، يدخل تحت قوله تعالى": "وللرجال عليهن درجة" "والمماثلة في بعث الحكمين، والمماثلة في الرعاية"، .. "وتفاصيل هاته المماثلة، بالعين أو بالغاية، تؤخذ من تفاصيل أحكام الشريعة، ومرجعها إلى نفي الإضرار، وإلى حفظ مقاصد الشريعة من الأمة، وقد أومأ إليها قوله تعالى: بالمعروف أي لهن حق متلبسا بالمعروف، غير المنكر، من مقتضى الفطرة، والآداب، والمصالح، ونفي الإضرار، ومتابعة الشرع. وكلها مجال أنظار المجتهدين" .([28])

الحاصل من استنباط ابن عاشور خلال هذه الآيات الكريمات أنّ الشريعة قد أكدت بحقوق النساء ، وأثبت أن معنى المماثلة بين الرجال والنساء فى سائر الأحوال والحقوق لايستقيم : من اختلاف

الجنس والنوع والشخص "لأجل مقتضى الخلقة ، ومقتضى المقصد من المرأة والرجل فى ضوء الشريعة" ، والذي يدل على عدم المماثلة فى كل الأحوال ، والإسلام قد ارتفع منزلة المرأة وشأنها فعلا ، فهناك حقوق متعلقة بالمرأة وحقوق متعلقة بالرجل ، ولابد من أدائها لكل من الرجل والمرأة ، وهي تضمن لجميع مصالح الإنسانية ذكرا وأنثى ، صغيرا وكبيرا فى الأحوال كلها ، "وقد كرَّمَ الإسلام المرأة بعد أن كانت كمّا مهملًا في الجاهلية، وهذا التكريم لم يرقَ إليه أكثر القوانين الغربية المعاصرة التي تدعي أنها منحت المرأة كل حريتها، ويتضح هذا التكريم القرآني للمرأة من القاعدة القرآنية الكريمة ، وإذا كان الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات فإنه جعل القوامة للرجل، فالرجل هو المسئول عن المرأة مكلف بالإنفاق عليها وصيانتها ودفع الشر عنها، فهي مسئولية قوامة وتكليف وليست مسئولية سيطرة وسلطان وقهر، وهذه المسئولية تقتضيها ضرورة الاجتماع"، فأي جماعة لا بد لها من "قائد ومدير ومتصرف" .

المثال الرابع ، قال الله جل وعلا : "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه".... "([29])

قال الشيخ ابن عاشور تحت هذه الآية الكريمة: "الناس أبناء أب واحد وأم واحدة فلا جرم أن كانوا في أول أمرهم أمة واحدة لأن أبويهم لما ولدا الأبناء الكثيرين وتوالد أبناؤهما تألفت منهم في أمد قصير عائلة واحدة خلقت من مزاج نقي فكانت لها أمزجة متماثلة ونشأوا على سيرة واحدة في أحوال الحياة كلها وما كانت لتختلف إلا اختلافا قليلا ليس له أثر يؤبه به ولا يحدث في العائلة تنافرا ولا تغالبا، ثم إن الله تعالى لما خلق نوع الإنسان أراده ليكون أفضل الموجودات في هذا العالم الأرضي فلا جرم أن يكون خلقه على حالة صالحة للكمال والخير"قال تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" ([30]) . "فآدم خلق في أحسن تقويم يليق بالذكر جسما وعقلا وألهمه معرفة الخير واتباعه ومعرفة الشر وتجنبه فكانت آراؤه مستقيمة تتوجه ابتداء لما فيه النفع وتهتدي إلى ما يحتاج للاهتداء إليه، وتتعقل ما يشار به عليه فتميز النافع من غيره ويساعده على العمل بما يهتدي إليه فكره جسد سليم قوي متين وحواء خلقت في أحسن تقويم يليق بالأنثى خلقا مشابها لخلق آدم، إذ أنها خلقت كما خلق آدم"، قال تعالى: " خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها " ([31])، "فكانت في انسياق عقلها واهتدائها وتعقلها ومساعدة جسدها على ذلك على نحو ما كان عليه آدم. ولا شك أن أقوى عنصر في تقويم البشر عند الخلقة هو العقل المستقيم فبالعقل تأتى للبشر أن يتصرف في خصائصه، وأن يضعها في مواضع الحاجة إليها ، هكذا كان شأن الذكر والأنثى فما ولدا من الأولاد نشأ مثل نشأتهما في الأحوال كلها، ألم تر

كيف اهتدى أحد بني آدم إلى دفن أخيه من مشاهدة فعل الغراب الباحث في الأرض فكانت الاستنباط الفكري والتقليد به أس الحضارة البشرية". "فالصلاح هو الأصل الذي خلق عليه البشر ودام عليه دهرا ليس بالقصير، ثم أخذ يرتد إلى أسفل سافلين، ذلك أن ارتداد الإنسان إلى أسفل سافلين إنما عرض له بعوارض كانت في مبدأ الخليقة قليلة الطرو أو معدومته" ، ... "ولما كان النسل منسلا من الذكر والأنثى كان بحكم الطبع محصلا على مجموع من الحالتين فإن استوت الحالتان أو تقاربتا جاء النسل على أحوال مساوية المظاهر لأحوال سلفه، قال نوح عليه السلام في عكسه ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا" ([32]) .."ثم كثرت العائلة البشرية وتكونت منها القبيلة فتكاثرت ونشأ فيها مع الزمان قليلا قليلا خواطر مختلفة ، فجاء النسل على أحوال مركبة مخالفة لكل من مفرد حالتي الأب والأم".([33])

الحاصل من كلام الشيخ ابن عاشور أن الناس كانوا من أب واحد ، ثم صاروا عائلة ، وأن خلق الإنسان كان على حالة صالحة للكمال والخير ، وأن "أقوى عنصر في تقويم البشر عند الخلقة هو العقل المستقيم" ، واعتبر الاستنباط الفكري والتقليد به من أس الحضارة البشرية ، ففي كل هذه التعليمات القرآنية وبتمسكها يصبح المجتمع مجتمعا صالحا حضاريا وإلا يفسد أمن المجتمع ويتخلف .

"خاتمة البحث"

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا" ، وبعد ! فهذا ما تيسر فى هذا البحث المتواضع ، ومن خلال دراسة موضوع النظام العائلي فى تفسير"التحرير والتنوير" "لمحمد الطاهر بن عاشورالتونسي" – رحمه الله – وأثره على المجتمع الباكستاني، ظهرت النتائج التالية

1 : اعتبر الشيخ ابن عاشور نظام الزواج مؤثرا أساسيا فى الأسرة القوية .

2 : اعتبر الشيخ ابن عاشور الأسرة السوية الصحية أساس الحياة الاجتماعية السوية، و أساس المجتمع المتكامل .

3 : اعتبر الشيخ ابن عاشور صلاح المجتمع فى صلاح الأسرة ، واعتبر فسادها فساد المجتمع .

4 : جعل الشيخ ابن عاشور العقل المستقيم "أقوى عنصر في تقويم البشر عند الخلقة" ، "وكما اعتبر الاستنباط الفكري والتقليد به من أس الحضارة البشرية" .

5 : اعتبر الشيخ ابن عاشور التمسك بالنظام العائلي القرآني ضامنا لأمن المجتمع الباكستاني وكما اعتبر تمسكه صالحا لإنسانية العالم كله .

الهوامش:

[1] : "تاج العروس من جواهر القاموس" : "محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي"(المتوفى: 1205هـ)، المحقق: "مجموعة من المحققين" ، ط : دار الهداية ،ج : 10 ،ص : 48 .

"Taj Al-arus min jawahir alqamus" : "mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, 'abu alfayd, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy" (almutawafaa: 1205hi) almuhaqaqa: majmueat min almuhaqiqin , t : dar alhidayat ,j : 10 ,s : 48

[2] :انظر، "مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، "محمد الطاهر بن عاشور"، ضبطه: د. طه بن علي بوسريح التونسي، دار السلام، القاهر،ط 1 ٢٠٠٦ م، ص ٧،

Muqadimat kashf almughataa min almaeani wal'alfaz alwaqieat fi almuata'a, muhamad altaahir bin eashur, dabtahu: da. tah bin eali busarih altuwnisi, dar alsalami, alqahiri,t 1 2006 mi, s 7,

وانظر،"الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين،ط ، بيروت"، 15، 2002، ج 6،ص 174 بتصرف يسير.

"Al'aelami, khayr aldiyn alzarkili, dar aleilm lilmalayin,t , birut", 15, 2002, j 6,s 174- "وللاطلاع على حياة ابن عاشور وكل ما يتعلق بها انظر "من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره"، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت"، ط 1، 1996.

Aelam alzaytunat shaykh aljamie al'aezam muhamad altaahir abn eashur hayatah watharuhu, du. bilqasim alghali, dar abn hazma, bayrut, t 1, 1996.

، "و نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، د. حسن عبد الجليل عبد الرحيم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية"، م ٢١ ، العدد الأول، ٢٠٠٥ م، ص 368.

Nahj ibn e Ashur fi alaihtijaj bialqira'at alquraniati, du. hasan eabd aljalil eabd alrahim, majalat jamieat dimashq lileulum alaiqtisadiat walqanuniati, m 21 , aleadad al'awala, 2005 mi, s 368.

[3] : انظر،"نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية": ٣٦٨ ، وانظر، "مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ": ١٢ ،

Muqadimat kashf al-mughataa min al-maeani wal'alfaz alwaqieat fi almuta'a: 10

وانظر،"الأعلام":"لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي" (المتوفى: 1396هـ)، ج: ٤ ،ص: ١٧، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشرة – أيار / مايو 2002م.

Al'aelam : likhayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealii bin fars, alzarkli aldimashqii (almutawafaa: 1396hi) j 4, s : 17, alnaashir: dar aleilm lilmalayin , altabeatu: alkhamisat eashrat - 'ayaar / mayu 2002m

[4] : "التحرير والتنوير" : ج ١، 8.

Al-tahrir wa-tanwir : j: 1,s : 8.

[5]: "القمطر الجمل القوي السريع"، وقيل: "الجمل الضخْم القوي، وكل شيء جمعته فقد قمطرته، والقمطر ، والقمطرة ما تصان فيه الكتب". – لسان العرب: (قمطر).

Lisan alearabi:

[6] : "التحرير والتنوير : ج ١ ، 8.

Al-tahrir wa-Altanwir : j: 1,s : 8

[7] : المرجع السابق : ج ١ ، 8-9.

[8] : "لسان العرب" : "محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى" (المتوفى: 711هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ ، عدد الأجزاء: 15 ، ص: 230 ، ج: 13 .

“Lisan al-arab” : “muhamad bin makram bin ealaa" ،'abu alfadali, “jamal aldiyn aibn manzur al'ansarii alruwayafeaa al'iifriqaa” (almutawafaa: 711hi) , alnaashir: dar sadir - bayrut , altabeata: althaalithat - 1414 hu , eadad al'ajza'i: 15 , si: 230 , ju: 13 .

[9] : "القاموس المحيط" : "مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى" (المتوفى: 817هـ) ، تحقيق: "مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي"،الناشر:"مؤسسةالرسالةللطباعةوالنشر والتوزيع"، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م ، عدد الأجزاء: 1.، ص : 1208 ، ج: 1 .

“Alqamus almuhit” : "majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruzabadaa" (almutawafaa: 817hi) , "maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalat , bi'iishrafi: muhamad naeim alerqsusy , alnaashir": "muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut" - lubnan , altabeata: althaaminati, 1426 hi - 2005 m , eadad al'ajza'i: 1., s : 1208 , ji: 1 .

[10] :: "تاج العروس من جواهر القاموس" : "محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي" (المتوفى: 1205هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية ، ص : 253 ، ج: 35 .

“Taj alearus min jawahir alqamus” : “mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni”, "abu alfayda, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy" (almutawafaa: 1205hi) , almuhaqiqi: majmueat min almuhaqiqin , alnaashir: dar alhidayat , s : 253 , ju: 35 .

[11] : "معجم لغة الفقهاء" ، ص : 256 ، ج: 1 .

Muehim lughat alfuqaha' , s : 256 , ji: 1 .

[12] : "كتاب العين" : "أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري" (المتوفى: 170هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، عدد الأجزاء: 8 ، ص : 166 ، ج: 8 .

“Kitab aleayn” : 'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamriw bin tamim alfarahidii albasri (almutawafaa: 170hi) , “almuhaqiqi: d mahdi almakhzumi”, d 'iibrahim alsaamaraayiyi , alnaashir: dar wamaktabat alhilal , eadad al'ajza'i: 8 , s : 166 , ji: 8 .

[13] : "تهذيب اللغة" : "محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور" (المتوفى: 370هـ) ، المحقق: "محمد عوض مرعب" ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، 2001م ، عدد الأجزاء: 8 ، ص: 280 ، ج: 14 .

"Tahdhib al-lughat" :" muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alharawi", 'abu mansur (almutawafaa: 370hi) , almuhaqiqi:" muhamad eawad mureib , alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut , altabeatu: al'uwlaa, 2001m , eadad al'ajza'i: 8 , si: 280 , ju: 14 .

[14] : "معجم متن اللغة" ("موسوعة لغوية حديثة") : "أحمد رضا" ("عضو المجمع العلمي العربي بدمشق") ، الناشر: "دار مكتبة الحياة" – بيروت ، عام النشر: [1377 - 1380 هـ] ، جـ 1 و 2/ 1377 هـ - 1958 م ، جـ 3/ 1378 هـ - 1959 م ، جـ 4/ 1379 هـ - 1960 م ، جـ 5/ 1380 هـ - 1960 م ، عدد الأجزاء: 5 ، ص : 251 ، ج: 4 .

"Muejam matn allugha" (musueat lughawiat haditha) : 'ahmad rida (eudw almajmae aleilmii alearabii bidimashaqa) , alnaashir: dar maktabat alhayaat - bayrut , eam alnashr: [1377 - 1380 ha] , ji 1 w 2/ 1377 hi - 1958 m , ju 3/ 1378 hi - 1959 m , ju 4/ 1379 hi - 1960 m ,

[15] : "معجم الوسيط" ، ص : 637 ، ج: 2 .

Muehim al-wasit , s : 637 , ji: 2

[16] . : التحل :

Al-nahl

[17] : الروم : 21 .

Al-ruwm : 21 .

[18] : "التحرير والتنوير"، ص : 216 ، ج: 14 .

Al-tahrir wa-tanwiri, s : 216 , ju: 14 .

[19] : النساء : 21 .

[20] : "التحرير والتنوير" ، ص : 289 ، ج: 4 .

Al-tahrir wa-tanwir , s : 289 , ji: 4 .

[21] : البقرة : 228 .

Al-baqarat : 228

[22] : النساء: 19 .

Al-nisa'i: 19

[23] : النساء: 34 .

Al-nisa'i: 34 .

[24] : النساء: 19 .

Al-nisa'i: 19

[25] : النور: 30 .

Al-nuwr: 30 .

[26] : النور: 30 .

Al-nuwr: 30 .

[27] : المؤمنون: 5- 6 .

Al-muminuna: 5- 6 .

[28] : التحريرؤ والتنوير : ص : 397- 399 ، ج: 2 .

Altahrir waltanwir : j: 2,s : 399-397

[29] : البقرة: 213 .

Albaqaratu: 213

[30] : التين: 4

Altiyni: 4

[31] : النساء: 1 .

Alnisa'i: 1 .

[32] : نوح: 27 .

Nuh: 27

[33] : التحرير والتنوير ، ص : 304 ، ج: 2 .

Al-tahrir wa-tanwir , s : 304 , ji: 2